

النظرية الخليلية عند عبد الرحمن الحاج صالح

د. رفيق كمال

عطاوي ربيعة

جامعة : طاهري محمد بشار

الملخص:

النظرية الخليلية الحديثة عند الحاج صالح نظرية لسانية عربية معاصرة، نتجت عن جهود متبادلة ومتواصلة، وعن إجهاد الفكر الإنساني في النظرية الخليلية المعاصرة، وقد عمل صاحبها عبد الرحمن الحاج صالح سنوات طويلة من العمل والجهد المتواصل لإخراجها إلى الوجود، ووصفت بالحديثة لأنها تمثل اجتهادا علميا تقويميا صدر في زماننا أدى إلى قراءة جديدة لما تركه لنا الخليل بن أحمد الفراهيدي وعن تلميذه سيبويه خاصة وجميع من جاء بعدهما من النخبة العرب، فالهدف الذي يسعى إليه أصحاب هذه النظرية وأتباع المدرسة الخليلية هي ضرورة الرجوع إلى التراث اللغوي الأصيل، والنظر إلى ما تركه العلماء الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري.

الكلمات المفتاحية : النظرية، منهج، اللسان.

Résumé

La théorie moderne d'Elkhalil est une théorie purement linguistique contemporaine , elle est le fruit d'efforts considérables et continus de la pensée humaine dans le domaine de la linguistique contemporaine, avec ses efforts et de longues années de travail de persévérance, cette théorie a vu la lumière par Abderrahman Hadj Salah. Cette théorie est moderne car elle constitue une analyse scientifique parue dernièrement portant une nouvelle lecture critique de l'héritage scientifique d'Elkhalil et ses compagnons comme Sibawaih en particulier et tous les grammairiens arabes qui viennent après eux. Le but principal de ces grammairiens et les partisans de l'école d'Elkhalil est bien de mettre en évidence l'héritage scientifique linguistique arabe et d'en entamer nouvelle une étude scientifique à partir des premières années de l'apparition de l'islam jusqu'au 4 ème siècle de l'Hijra.

Mots clés : Théorie, méthode, langue, séparation

التعريف بالنظرية الخليلية الحديثة:

هي نظرية لسانية عربية معاصرة، نتجت عن جهود متواصلة، وعن إعمال الفكر في النظرية الخليلية القديمة، وقد أمضى صاحبها عبد الرحمن الحاج صالح سنوات طويلة من الجهد المتواصل لإخراجها إلى الوجود في قوله: " وقد حولنا منذ ما يقارب من ثلاثين سنة أن نحلل ما توصل إلينا من التراث مما يخص ميدان اللغة وبخاصة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن ينتمي إلى المدرسة التي سميها بالخليلية وكذلك ذلك بالنظر في ما توصلت إليه اللسانيات الغربية"⁽¹⁾.

(1)-عبد الرحمن الحاج صالح: " المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي"، (د ط) (د ت) ص: 367-

المقال: النظرية الخليلية عند عبد الرحمن الحاج صالح

ووصفت بالحديثة لأنها تمثل اجتهاداً علمياً تقويمياً صدر في زماننا أدى إلى قراءة جديدة لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيويه خاصة وجميع من جاء بعدهما من النحاة الذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب سيويه إلى غاية القرن الرابع كشروح كتاب سيويه وغيرها، أضف إلى ذلك البحوث التي كتبها بعض العباقرة من العلماء كالسهلي وعبد القاهر الجرجاني والرضي الأسترابادي وغيرهم⁽¹⁾.

ولم يفك الحاج صالح الحديث عن سيويه وأتباعه ممن ينتمي إلى المدرسة الخليلية وفي هذا الصدد يقول: " وقد نظرنا في كتاب سيويه واطلنا النظر فبعد مدة طويلة تبين لنا أن المفاهيم التي يتضمنها هذا الكتاب تكون في الحقيقة نظرية دقيقة لم نعثر على مثلها في أي نظرية لغوية أخرى سواء كانت قديمة أم حديثة أيقنا أن هذه المفاهيم جديدة جدا بان يكشف عنها وعن حقيقتها أي بحسب ما قصده من كل واحد منها صاحب الكتاب و شيوخه و خاصة الخليل"⁽²⁾

ولعل من آثار العناية بالدرس النحوي العربي ما ظهر عند الحاج صالح في قراءته لما تركه لنا العلماء العرب القدماء في اللغة والنحو أمثال الخليل و سيويه، وأكثر من ذلك أن العلماء العرب الخليل و سيويه و ابن جنبي و الجرجاني و ابن سينا آخرون " جاؤوا بأفكار تحتاج إلى من يستخرج منها نظريات ، لم نعثر على مثلها في أي نظرية لغوية على حد تعبير الحاج صالح.

أولا: التعريف بالمدرسة الخليلية الحديثة

يتزعمها عالم اللسانيات العربية العلامة عبد الرحمن الحاج صالح الذي هو امتداد للرعيد الأول أمثال الخليل و سيويه و ابن جنبي، كما نجدها نسبة للخليل ابن أحمد الفراهيدي، فهي إذا مدرسة أصلية تعتمد على الفكر اللغوي العربي بدون تعصب ولا تبعية⁽³⁾.

أما عن الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها أصحاب هذه النظرية وأتباع المدرسة الخليلية هي: " ضرورة الرجوع إلى التراث العلمي اللغوي الأصيل ... والنظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري وتفهم ما قالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلما توصل إلى مثلها كل من جاء من قبلهم من علماء الهند واليونان ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب"⁽⁴⁾.

وعقب ذلك يهدف هذا التعريف على حث الباحث العربي في علوم اللسان بالأهمية التي كتسبها نظرية النحاة العرب، لا من حيث إنها ما تزال ذات قيمة كبيرة من الناحية العلمية والنظرية ، بل من حيث إنها يمكن أن تستثمر مفاهيمها في الميادين التطبيقية لحل مشكلات لغوية وتربوية تعترض سبيل ترقية استعمال اللغة العربية في المجالات الحيوية⁽⁵⁾ ، ومعنى هذا أن هذه النظرية عبارة عن قراءة جديدة للتراث النحوي مقارنة بالنزعات والطروحات الحديثة في العالم العربي، كما تعد أيضا امتدادا منتقى للآراء والنظريات التي أثبتتها النحاة العرب الأولون، وبخاصة "

(2)- عبد الرحمن الحاج صالح: " النظرية الخليلية الحديثة" - مفاهيمها الأساسية- العدد الرابع / السنة 2007 الجزائر، ص: 05.

(2)-عبد الرحمن الحاج صالح: دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية (د ط)، (د ت)، ص: 02.

(3)- التواتر بن التواتر: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، دار الوعي للنشر والتوزيع (د ط) ، (د ط) ، الجزائر ، ص: 80-81.

(4)- صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية ، دار هومو للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر- 2003 ، ص: 106.

(5)- عبد الرحمن الحاج صالح: اللسانيات: مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياه ، رمد ، العدد العاشر ، 2005 ص: 09.

المقال: النظرية الخيلية عند عبد الرحمن الحاج صالح

الخليد بن أحمد". فهي في الواقع نظرية ثنائية (Mètathèorie) لأنها في الوقت نفسه تنظير وبحث في الأسس النظرية الخيلية الأولى.

والاهتمام بهذه المدرسة تابع مما تميزت به أفكارها من أصالة وتجديد، إذ يرجع لها الفضل في:
- تنبيه الباحثين لضرورة الاهتمام بشخصيات علمية فذة في تاريخ الفكر اللغوي العربي⁽¹⁾
- اقتراحها لمصطلحات جديدة وإحيائها لمصطلحات أصلية.
- تفسيرها العميق لكثير من المفاهيم النحوية والبلاغية التي استغلق فهمها على كثير من الدارسين
- مساهمتها في التعريف بالتراث الأصيل وإحيائه وتسهيده الاطلاع عليه.
- تنبيه الباحثين الذين اشتغلوا بموضوع تيسير القواعد النحوية إلى ضرورة التمييز الحاسم بين النظرية النحوية العربية القديمة وتطبيقاتها التربوية.
- إثبات أن المفاهيم والمبادئ التي قامت عليها النظرية اللغوية العربية القديمة، ليست غريبة، ولا هي ملفقة ولا دخيلة على الدرس اللغوي كما يزعم المفتونون بالمنهج الغربية الحديثة⁽²⁾
ومما أميد إليه في هذا التعريف أن هذه النظرية عملت على إعادة قراءة وبعث الآراء والاجتهادات للنخبة الأوائل وعلى الأخص مدرسة الخليد بن أحمد الفراهيدي، التي تميزت بالمنطق الرياضي في وصف اللغة.

ثانياً: مكانة المدرسة الخيلية:

ولإجلال المدرسة الخيلية الحديثة محلها من النزعات الحديثة في العالم العربي نثبت بعض المفاهيم والمبادئ التي استخرجها صاحب المدرسة الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من النظرية اللغوية القديمة (وكوصف نقدي هي في الحقيقة نظرية ثنائية بالنسبة للنظرية الخيلية). أما استغلالها بالأصح إمكانية استغلالها الآن فحاصل بالفضل، وذلك لعدم وجود نظرية لغوية موازية مستخرجة من النظر في التراث اللغوي العربي إلا ما كان من النظرية التوليدية التحويلية إلا أنها غير وافية بالفرض رغم تجاوزها النزعة التقطيعية والتصنيف⁽³⁾

ثالثاً: منهج المدرسة الخيلية الحديثة :

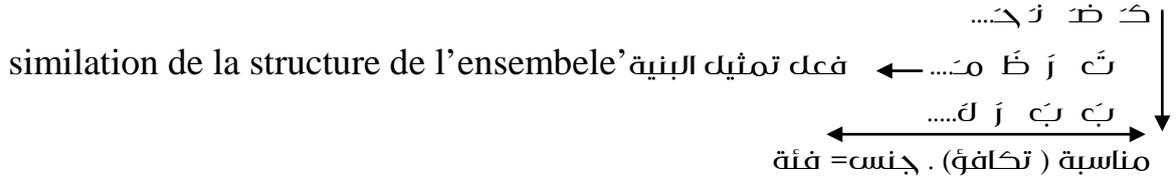
لقد اعتمد صاحب هذه المدرسة على عدة مفاهيم استقاها من التراث النحوي الأصل، وقبل أن نبيّن هذه المفاهيم نشير إلى أن الأستاذ قد بين أن هناك نجوا عربياً أصيلاً و حصره في القرون الأربعة الأولى من الهجرة : وبعد حديثه عن المدارس اللسانية عند الوظيفيين وأصحاب النحو التوليدي بين أن النحو العربي الخليلي لا يقتصر على التحديد بالجنس والفصل رأيي: باكتشاف الصفات المميزة TRAITS PERTINENTS والتالي لا يكتف بعملية الاشتمال بك يتجاوزها بإجراء الشيء على الشيء أو حمل العنصر على الآخر ، فهو لا يكتف بالجنس الذي ليس إلا مجرد فئة تشترك عناصرها في صفة واحدة أو مجموع صفات، بك يتجاوزون ذلك بإجراء عنصر على آخر على حد تعبير النخبة أي: بجعل علاقة مباشرة بين العناصر التي توجد مجموعتين على الأول لاستنباط البنية التي تجمعها جميعاً وأبسط مثال في ذلك هو إثباتهم لصيغة الكلمة⁽⁴⁾.

(1) - عبد الرحمن الحاج صالح: اللسانيات: مجلة في علوم اللسان وتكنولوجيااته ، ص: 09.

(2) - المرجع نفسه ، ص: 09.

(3) - التواتر بين التواتر: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومنهجها في البحث ، ص: 82 - 83.

(4) - المرجع نفسه ، ص: 84 - 85.



فالجاءع بين كل هذه الوحدات ليس فقط جنسها [بل وقد لا تهتم بالجنس] بل بالبنية التي تجمعهما . لا يمكن أن تستخرج بإدخال بعينها في بعض ، بل بحمل كل جزء منها على نظيره مع مراعاة انتظامها

أي : مع اعتبار كل جزء في موضعه .⁽¹⁾

وعلاوة على ذلك ، قد سعت النظرية منذ ظهورها إلى بعث الجديد عبر إحياء المكتسب فتجاوزت مرحلة الاقتباس السلبي عند نقلها عن الغرب، أو عند نشرها عن العرب.

فهي تنطلق في قراءتها للتراث وتأييد أفكاره من منطلقين أساسيين هما:

- لا يفسر التراث إلا التراث "كتاب" سيبويه" لا يفسره إلا كتاب" سيبويه" ومن الخطأ أن تسقط على التراث مفاهيم وتصورات دخيلة تتجاهل فهو صيانة النوعية.

- أن التراث العربي في العلوم الإنسانية عامة واللغوية خاصة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة الإبداع.⁽²⁾

ومعنى هذا أن التراث الذي بنيت عليه النزعة الخيلية هو التراث العلمي اللغوي الأصيل الذي تركه العلماء الذين عاشوا عصر الفصاحة وشأفوها فصحاء العرب، وأسسوا أكبر مدونة لغوية شاهدها تاريخ العلوم اللسانية. أما العلماء الذين جاؤوا من بعدهم فقد ضيقوا حدود النحو الواسع واستبدلوا مفاهيم القدماء بمفاهيم أخرى.

لقد اعتمد العلماء العرب، ورائدهم في ذلك الخليل في تحليلهم للظاهرة اللغوية عدد من المفاهيم والمبادئ اللغوية التي سيكون لها دور عظيم في تفسير العلاقات المعقدة المجردة الكامنة وراء اللغة. ومن أهم هذه المبادئ نذكر المفاهيم الآتية:

المفاهيم الأساسية للنظرية الخيلية:

أولاً: اللسان وضع واستعمال:

اللسان وضع من الأوضاع التبليغية والمقصود بالوضع هنا هو النظام المنسجم من الأدلة الصوتية ذوات المعاني، فمثلاً لا يمكن أن نقول: اللسان العربي أحدثه فلان، وإن كانت اللغات مصطنعة من اختراع الفرد الواحد، لأن اللسان هو راجع إلى جماعة الناطقين به وليس من الواحد فلهاذا قيد عنه: إنه ظاهرة اجتماعية.

لأن اللغة التي يتكلم بها الإنسان يومياً وورثها على السلف ليست من إنتاجه وليست ملكاً للفرد الواحد أن يتدخل فيها وهي من الأنظمة الاجتماعية الأخرى (الزواج، الطلاق، النظام الاقتصادي...) التي هي سابقة للفرد وباقية بعده فهو ورثها من الوسط ولا يمكن له أن يقول أن اللغة ستموت معي. وهذا يدعونا أن نتطرق إلى قضيتين وهما الوضع والاستعمال.⁽³⁾

(1) -التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، ص: 85.

(2) - عبد الرحمن الحاج صالح: اللسانيات : مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياه ، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية ، الجزائر 2005م العدد العاشر ، ص: 10.

(3) -التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، ص: 88.

أ- سبب الوضع وحده:

أ- أما الوضع: فيحك بنا إلى السؤال عن سبب الوضع؟ وجواب هذا السؤال نجده عند الإمام فخر الدين وأتباعه: السبب في وضع الألفاظ أن الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لابد من التعاون ولا تعاون إلا بالتعارف ، ولا تعارف إلا بأسباب كحركات أو إشارات أو نقوش أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد وأيسرها وأعمها الألفاظ . أما أنها أيسر فلأن الجروف كصفات تعرض لأصوات عارضة للهواء الخارج بالتنفس الضروري الممدود من قبل الطبيعة دون تكلف اختياري.أما أنها أعمها فليس يمكن أن يكون لك شيء نقش كذات الله تعالى والعلوم أو إليه إشارة كالفائبات ، ويمكن أن يكون لك شيء لفظ فلما كانت الألفاظ أيسر وأعم صارت موضوعة بإزاء المعاني⁽¹⁾ . ونشير إلى علماءنا القدماء قد اهتموا اهتماما كبيرا بمشكلة اللفظ والمعنى ، وخاصة علماء أصول الفقه إذ كانوا أول من شغل بمشكلة اللفظ والمعنى تاريخيا وذلك لارتباط المعنى بالحكم اللفظ الفقهي الذي يراد فهمه أولا ثم تطبيقه ثانيا ، إذ أن الحكم في عامة أمره لا يخاطب الوجدان وإنما يخاطب العقل الذي هو مناط التفكير ووسيلة الفهم إلى دراسة الدلالة أو المعنى ، وهنا نجد أن المقدمة اللغوية في كتب علماء أصول الفقه هي المكان المناسب الذي نبث فيه عن دراسة علماء العربية للدلالة وهي دراسة لغوية خالصة تلم ببعض علم الدلالة Semantics عند المحدثين وإن اختلف المنهج والهدف⁽²⁾ .

الوضع:أما الوضع فقد بين حده التاج السبكي في شرح منهاج البيضاوي الوضع عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء ، بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني. وهذا تعريف سديد فإنك إذا أطلقت قولك: (قام زيد) فهم منه صدور القيام منه ، فإن قلت : مدلول قولنا (قام زيد) صدور قيامه سواء أطلقنا هذا اللفظ أم لم نطلقه فما وجه قولكم بحيث إذا أطلق ، قلت: الكلام قد يخرج عن كونه كلاما وقد يتغير معناه بالتقييد فأنت إذا قلت: (قام الناس) اقتضى إطلاق هذا اللفظ إخبارك بقيام جميعهم فإذا قلت: (إن قام الناس) خرج عن كونه كلاما بالكلية فإذا قلت: (قام الناس إلا زيدا) لم يخرج عن كونه كلاما ولكن خرج عن اقتضاء (قيام جميعهم) إلى (قيام) ما عدا زيدا فعلم بهذا أن لإفادة (قام الناس) الإخبار بقيام جميعهم شرطيت:

● **أحدهما:**ألا تبتدئه بما يخالفه.

● **والثاني:**ألا تختمه بما يخالفه وله شرط ثالث أيضا وهو أن يكون صادراً عن قصد فلا اعتبار

بكلام النائم والساهي. فهذان شرطان لابد منهما وعلى السامع التنبه لها ، فوضح بهذا أنك لا تستفيد قيام الناس من قوله: (قام الناس) إلا بإطلاق هذا القول فلذلك اشترطنا ما ذكرناه.

الاستعمال:أي: نظام من الأدلة الموضوعية لغرض التبليغ واستعمال فعلي لهذا النظام في واقع الخطاب⁽³⁾.

إن اللغة كما يتصورها المبدعون من علماءنا أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وغيره ممن ظهر في الصدر الأول، هي قبل كل شيء استعمال للناطقين بها ومعنى هذا: إحدائهم لفظا معينا لتأدية معنى وغرض في حال الخطاب تقتضي هذا المعنى وهذا اللفظ ، وليست فقط صوتا ولا نظاماً من القواعد ولا معنى مجردا من اللفظ الذي يدل عليه ولا أحوالا خطابية معزولة عن كل هذه الأشياء. وعلى هذا فالاستعمال الفعلي للغة في جميع الأحوال الخطابية التي تستلزمها الحياة اليومية هو الذي ينبغي أن يكون المقياس الأول والأساسي في بناء كل منهج للبحث اللغوي⁽⁴⁾ ،

(1) - السيوطي: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها ، 1/ 34.

(2) - التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، ص: 89.

(3) - المرجع نفسه ، ص: 89.

(4) - التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، دار الوعي

المقال: النظرية الخليلية عند عبد الرحمن الحاج صالح

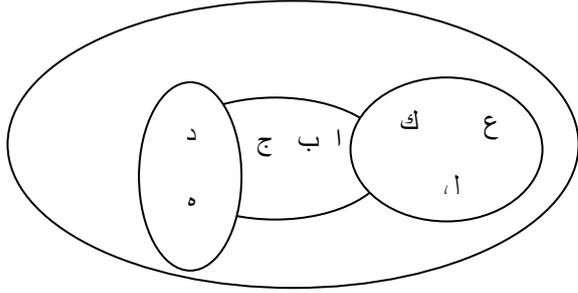
وإذا قلنا: إن الكلام هو حدث خاص بالفرد ، لأننا عندما نتكلم فالتكلم مسؤول عن كلامه ، فإذا لحن فهو صاحب اللحن ، وإذا تكلم بالفصح فهو صاحب الفصحى والكلام متجدد ، فإن نطقت بحرف بطريقة معينة ثم عدت إلى نفس الحرف فإن نطقك به لا بد أن يكون هناك اختلاف في النطق وذلك مفهوم معنى الكلام متجدد⁽¹⁾.

تعتمد الدراسة العلمية للسان أكثر ما تعتمد في دراستها على هذا الفرق بين اللسان والكلام أي: ما يسميه العرب الوضع والاستعمال ، فكل منا يؤدي بحسب شخصيته ، فكل ما يرجع إلى الأبد فهو جزئي ويقابله الكلي ، فإذا قلت: (الباء) في العربية فهذا الحرف ينطق به بكيفيات مختلفة لأنها راجعة للصوتيات الفيزيائية ، أما الحرف فيبقى هو رغم اختلاف النطق ، وما يقال عن الحرف يقال عن الأبنية وعن التراكيب ومثال على ذلك هناك من يقول: اشتريته جزافا ، وجزافا فهذه الاختلافات ترجع للأبد⁽²⁾.

ومما هو مستنتج من بيان الفرق بين اللسان والكلام هو أن الأول: ظاهرة اجتماعية تفرزها جماعة معينة وتخرجها إلى الوجود، والثاني: ظاهرة فردية يحدثها الفرد الواحد في مكان وزمان معينين وهو متجدد يزول بزوال المتكلم. ويمكن أن نكتب على شكل نسب:

الجد = الوضع = اللسان

ومعنى هذا كله أن الكلام يخص الفرد وكذلك الاستعمال والأبد فليست الجماعة هي التي تعمل هذا إنما الفرد هو الذي يحدث هذا الكلام والاستعمال والأبد يختلف من فرد لآخر ونمثلك لذلك بجماعة متكلمين:



ولتكن هذه الحروف ترمز إلى الأفراد والجماعة الصغرى هي هذه الدوائر الصغرى والجماعة الكبرى من الناس هي هذه الدائرة التي تضم هذه المجموعات الصغرى. فهؤلاء الأفراد ممكن أن يكونوا مجموعات صغرى داخلية في المجموعة الكبرى.

وعلاوة على ذلك الكلام والاستعمال والأبد يختلف من فرد لآخر ثم بحكم الجوار والنشأة قد يكون أفراد كل مجموعة مثلك (أ. ب. ج) قريبا أي: متشابهها على الرغم من عدم كونه متفقا تماما وفي نفس الوقت يكون أبعد من أباء مجموعة (ع. ك. ل) مثلا إذا أخذنا سكان مدينة ما نجدها لا تؤلف جماعة منسجمة من حيث الأبد، ولكن إذا بحثنا عن الأفراد الذين ولدوا بهذه المدينة وأجدادهم الأقدمون الذين سكنوا بها نجد لهجاتهم تتقارب نوعا. أمّا من حك بها حديثا فإن لهجته تختلف عما كان حالها قبله⁽³⁾.

ثانيا: الاستقامة:

يقول سيبويه فيها: " فمنه مستقيم حسن ومجال ، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح ، وما هو مجال كذب⁽⁴⁾ .

للنشر والتوزيع الجزائر ، ص: 90 - 91.

(1) - المرجع نفسه ، ص: 91.

(2) - المرجع نفسه ، ص: 91.

(3) - التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، ص: 92.

(4) - عبد الرحمن الحاج صالح: اللسانيات: مجلة في علوم اللسان وتكنولوجيااته ، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية

، العدد العاشر ، الجزائر 2005 ، ص: 11.

المقال: النظرية الخيلية عند عبد الرحمن الجاحي صالح

- فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس ، وسأيتك غدا.
- أما المحال تنقض أول كلامك بأخيه فتقول: أتيتك غدا ، وسأيتك أمس.
- فأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجب ، وشربت ماء البحر ونحوه.
وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، وهو قولك: قد زيدا رأيت ، وكبي زيد يأتيك وأشباه هذا⁽¹⁾، أضف إلى ذلك المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس⁽²⁾ ، ويقول الأخفش: "منه الخطأ وهو ما لا تمد ، نحو قولك: ضربني زيد وأنت تريد: ضربت زيدا، والخطأ ما لا تمد، وأما المحال فهو ما لا يصح له معنى ولا يجوز أن تقول فيه: صدق ولا كذب. فلو قلت: أتيتك غدا لم يكن للكلام معنى . ولا يمكن أن تقول صدق ولا كذب.
ومما هو مبيّن مما سبق أن: المستقيم الحسن: هو السليم في القياس والاستعمال
جميعاً.

والمستقيم القبيح : هو السليم في القياس وغير السليم في الاستعمال.
أما المستقيم المحال: سليم في القياس والاستعمال غير سليم من حيث المعنى⁽³⁾ .

ثالثاً: الانفصال والابتداء:

يقول الخليل بلسان تلميذه: " إنه لا يكون اسم مظهر على حرف أبداً لأن المظهر يسكت عنده وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء"⁴. والذي يسكت عنده وليس قبله شيء هو الاسم الذي ينفصل ويتبدع".

فالانفصال والابتداء يمكن الباحث من استكشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام، وهذا ينطبق الباحث من اللفظ أولاً ولا يحتاج إلى أن يفترض أي افتراض كما يفعله التوليديون وغيرهم عندما ينطقون من الجملة قبل تحديدها. ولا بد من الملاحظة أن هذا المنطق هو في نفس الوقت **وحدة لفظية** لا يحددها إلا ما يرجع فقط إلى اللفظ، وهو الانفصال والابتداء **ووحدة إفادة** لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة.

إن النجاة العرب المتقدمون لا يفترضون شيئاً بل ينطلقون من واقع اللفظ وواقع الخطاب في الوقت نفسه، فينظرون في الكلام الطبيعي أي في المخاطبات العادة ما هو أقل ما يمكن أن ينطق به من الكلام المفيد. ويكون ذلك بالنسبة لكلام العرب قطعة صوتية مثلاً: "كتاب" فهذه هي الأصل وتتفرع منها عبارات أخرى مكافئة لها من حيث الانفصال والابتداء مثلاً: " بكتاب" و" بالكتاب" وكتاب كبير" وهو ما يسمى بالزوائد على الأصل " تدخل على حدّ الاسم"⁽⁵⁾.

رابعاً: مفهوم الأصل والفرع:

مما لا شك فيه أن المفهوم الذي ينبني عليه لا النحو العربي فحسب بل علوم العربية كلها هو مفهوم الأصل والفرع. فنجد "الخليك" وتلميذه " سيبويه" جعلوا النظام اللغوي كله أصولاً وفرعاً.

(1) - سيبويه: الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط 1 ، بيروت ، دار الجيك ، 1991 ، ج 1 ، ص: 25 - 26.

(2) - المرجع نفسه ، ص: 25 - 26.

(3) - عبد الرحمن الجاحي صالح: المدرسة الخيلية والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي ، ط 1 ، المغرب دار الفكر الإسلامي ، 1987 ، ص: 367.

(4) - سيبويه: الكتاب ، 2 / 304.

(5) - سيبويه: الكتاب ، 1 / 96.

المقال: النظرية الخليلية عند عبد الرحمن الحاج صالح

فالأصل عند العرب هو: " ما يوجد ويستمر في جميع فروعوه وهو لا يحتاج إلى علامة وهو بذلك يستغني عن فروعوه إذ يبنى عليه ولا يبنى هو على غيره"⁽¹⁾.

وميز العرب الأصول عن الفروع ، فحددوا الأصل على أنه العنصر الذي لا يمكن أن يدخل وأما الفرع عند النحاة العرب هو الأصل مع زيادة إيجابية أو سلبية". وهذا يعني أن الأصل هو الشيء الثابت. ويحدد الحاج صالح الفرع بقوله: " والفرع هو الأصل مع زيادة مع شيء من التحويل"⁽²⁾

فقد عبر سيبويه عن مفهوم الأصل أحيانا بعبارة الأول: " فالأفعال أثقل من الأسماء ، لأن الأسماء هي الأولى" واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهي أشد تمكنا ، لأن النكرة أول ثم يدخل عليها ما تعرف به..... واعلم أن الواحد أشد تمكنا من الجمع ، لأن الواحد الأول..... واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول. وهو أشد تمكنا ، وإنما يخرج التأنيث التذكير". فأصالة الاسم يمكنه أن يظهر وحده في الكلام ، أما الفعل والحرف فلا يظهران أبدا إلا مع الاسم أو مع كليهما معا..... أن كل كيان لغوي إما أصل يبنى عليه غيره أو فرع يبنى على أصل أو أصول."⁽³⁾

ويقول الدكتور الحاج صالح: وهذا المفهوم قلما انتبه إلى خطورته اللغوية والمحدثون وهو مفهوم التفريع على الأصول وهو مفهوم يوجد في أصول الفقه إلا أنه عند النحاة لأعمق بكثير ، ويمكن أن نقول: بأنه المفهوم الذي يبنى عليه النحو العربي ، بك وعلوم العربية كلها.⁽⁴⁾

ويرى أبو البقاء: أن الأصل يراد به الحروف الموضوعية على المعنى وضعا أوليا ، والفرع لفظ يوجد فيه تلك الحروف مع نوع تغيير ينضم إليه معنى زائد على الأصل ، ومثال على ذلك: (ضرب) اسم موضوع على الحركة المعلومة المسماة (ضربا) ولا يدل لفظ الضرب على أكثر من ذلك. وأما (ضرب) يضرب وضارب ومضرب ففيها حروف الأصل وهي (الضاد والراء والياء) وزيادات لفظية⁽⁵⁾.

والسؤال الذي يحيرنا ما هو قياس أو مقياس الأصل؟ أو كيف نحكم على عنصر لغوي أنه هو الأصل أم البقية ففروع عليه؟ فلا بد أن ننتبه هنا إلى شيء نشأ مع النحو العربي وهو مفهوم الزيادة وهذه الزيادة توجد على المستويات ، فبالنسبة إلى مستوى الكلم توجد الزيادة على صورة عناصر غير مستمرة أي: غير موجودة في جميع الفروع ، فإذا حذفنا هذه العناصر الزائدة فأنا نحصل بذلك على الأصل⁽⁶⁾.

ومما نميل إليه أو نشاهده من خلال هذا القول أن الأصل هو العنصر الثابت الموجود في جميع حروفه ، والفرع هو الأصل مع الزيادة.

فالأصل عند الأئمة النحاة هو ما بني عليه ولم يبنى على غيره ، ولا يحتاج إلى علامة لتمييز بها عن فروعوه فله العلامة العدمية.

خامسا: مفهوم العامل:

إن نظرية العامل هي أروع ما أبدعه الخليل وأصحابه. وبها يستطيع اللغوي أن يمثه أبسط الكيفيات وأنجعها في التراكيب المعقدة التي تتداخل فيها العناصر اللغوية، وقد توصل أحد

(1) - عبد الرحمن الحاج صالح: التعريف بالمدرسة الخليلية الحديثة ، (د ط) ، (د ت) ، ص: 33.

(2) - عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي ، مقال ص: 377، (2) -

سيبويه: الكتاب ، 1 / 96.

(3) - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق النحو العربي والعلاج الجاسوبي للغات ، مقال ، ص: 303.

(4) - المرجع نفسه ، ص: 303.

(5) -التواتر بن التواتر: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، طر الوعي للنشر والتوزيع الجزائر 2008، ص:

118.

(6) - أبو البقاء الكعبي: مسائل في النحو ، ج 1 ، ص: 74.

المقال: النظرية الخيلية عند عبد الرحمن الحاج صالح

الباحثين إلى استغلال هذه النظرية وبرمجتها لاستكشاف البنى التركيبية ألياً والمتصفح لكتاب سيويو يجد أن فكرة العمك عنده قصد بها التعبير عن العلاقات بين أجزاء التركيب وأنه في حقيقته نظرية يمثك فيها طريقة النظم في الجملة، ومن يتقن فهم هذه النظرية يقف على أسرار التراكيب وأوضاعها المختلفة⁽¹⁾.

وعلى حسب زعمنا المقصود من العمك هو بيان الارتباط والتعلق بين أجزاء التركيب وترك الأثر الذي ينتج من هذا التعلق.

إن المستوى الذي يتحدد فيه الاسم والفعك هو المستوى المركزي بالنسبة لنظام اللغة لأنه هو الذي ينطلق منه في التحليل واكتشاف المثلث المولدة، ويمكن أن ينطلق منه إلى ما فوق لتحديد التراكيب كما يمكن أن يتوجه إلى ما تحته في مستوى بناء الكلمة المفردة ثم إلى مستوى الحروف (النظام الفونولوجي) ومع ذلك فالوحدات اللغوية في المستوى التركيبي، ما فوق، "اللفظة" ليست ناتجة عن تركيب اللفظة بلفظة أخرى أي ليس هذا المستوى الذي تظهر فيه الجملة عبارة عن تركيب للوحدات من المستوى الأدنى. فلهذا المستوى وحدات خاصة به أكثر تجريدا وهي العمك والمعمول الأول والمعمول الثاني، والمخصص. وسنطلق هاهنا أيضا من أقد ما ينطلق به من الكلام ولكن دون أي نقص هذه المرة، ونحاول أن نزيد على ما قبل هذه النواة كل ما تحتمله من زيادة وكذلك على ما بعدها، ونضرب لذلك بمثال الذي نحصل عليه بهذه الزيادات أولا وبوضع كل وحدة إزاء نظيرها أي المكافئ لها.⁽²⁾

∅	زيد	قائم	
إن	زيداً	قائم	هنا
كان	زيدٌ	قائماً	أمس
حسبُ	زيداً	قائماً	غلطاً
أعلمتُ عمراً	زيداً	قائماً	حالا
أكرم	زيد	عمراً	إكراماً
أكرم	تُ	عمراً	كثيراً
العامك	المعمول الأول	المعمول الثاني	مخصص

فنجد في العمود الأيمن عناصر يمكن أن تكون كلمة أو لفظة بك حتى تركيب وله تأثير على بقية التركيب. ولذلك سمي "عاملاً"، ثم العنصر الموجود في العمود الثاني الذي لا يمكن أن يتقدم على عامله فهو عند سيويو المعمول الأول ويكون مع عامله، أما المعمول الثاني فقد يتقدم على كل العناصر اللهم إلا في حالة جمود (مثل إن) وقد يخلو موضع العامك من العنصر الملفوظ (أشرنا إليه ∅) وهو الذي يسمونه بالابتداء⁽³⁾، كما أن الأصل يتحدد بعدم الزيادة عليه فنلاحظ أن موضع

الزيادة على الأصل فرغ ونشير له بالعلامة الرياضية ∅.

(1) -التواتر بن التواتر: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص: 102 - 103.

(2) - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، الجزء الثاني، دار موفم للنشرالجزائر 2007، ص: 87.

∅ هو علامة لفرغ الموضع من اللفظ كالابتداء والضمير المستتر.

(3) -التواتر بن التواتر: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص: 103 - 104.

:⁽²⁾ تراكييب يكون فيها العامل مركب

2م	1م	ع		
معتدلاً	الجوّ	1م		ع
		ت		خسب
معتدلاً	الجوّ	2م	1م	ع
		محمد	ت	أعلم

وانطلاقاً من هذا نستطيع القول بأن المعمول الأول يكون إما مبتدأ أو اسماً لأحد الأفعال الناسخة " كان وأخواتها" أو اسماً لأحد الجروف الناسخة (إن وأخواتها) أو فعلاً لفعلة، وفي هذا الصدد يقول الحاج صالح: " وهو دائماً اسم أو ما في حكمة وحكمة الإعرابي أن يكون فعلاً لفعلة أو اسماً مبتدأ أو ما يقوم مقامه كاسم كان وأخواتها واسم إن وأخواتها....."⁽²⁾.

ويأتي المعمول الأول في موضوع المبنى عليه، لأنه يبنى عليه عنصر هو المعمول الثاني يحمل على الزواج المرتب (ع، 1م) ويكون محتوى المعمول الثاني وهو المبنى إما خبراً أو مفعول به⁽³⁾. كما يمكن القول أن المعمول الأول لا يمكن تقديمه على العامل (ع) ولكي يتضح هذا بالدقة الرياضية التي يقصدها الحاج صالح نأخذ الأمثلة الآتية:

كتب التلميذ: بنية قائمة على أساس فعل غير ناسخ (كتب).

1م	ع
التلميذ	كتب

وقد يتقدم 2م على 1م وذلك نحو: كان مجتهداً الولد.

1م	2م	ع
الولد	مجتهداً	كان

وقد يتقدم 2م على كل العناصر، يقول الحاج صالح: " أما المعمول الثاني (2م) فقد يتقدم على كل العناصر....."⁽⁴⁾

سادساً: مفهوم القياس:

يردُّ الدارسون المحدثون القياس النحوي في طرائقه ومظاهره إلى تأثيره بعلم أصول الفقه، وأغلب الظن أن الذي أدعى بهم إلى هذا هو تعليقات النجاة للظواهر اللغوية وتقسيم المتأخرين منهم

(1) - عبد الرحمن الحاج صالح: دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية، ص: 09.

(2) - عبد الرحمن الحاج صالح: التعريف بالمدرسة الخليلية الحديثة، مقال، ص: 34.

(3) - كريمة أوشيش: أثر الثنائية اللغوية (العامية - الفصحى) في استعمال التراكييب، مقال منشور في مجلة اللسانيات في علوم

اللسان وتكنولوجياها، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، العدد 8، ص: 103.

(4) - عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص: 385.

المقال: النظرية الخليلية عند عبد الرحمن الحاج صالح

الملك إلى ملك لفظية وأخرى معنوية، والحقيقة إن التعليك أداة أصلية من منظور آخر من أدوات البحث العلمي يدونها بتحول العلم إلى مجرد جمع وتصنيف، وإذا كان التصنيف نفسه عملية تفترض (معيارا) فإنها عملية تعتمد على نوع من التعليك والتأويل⁽¹⁾، يقول الحاج صالح: إن موجيء لفظة "قياس" على لسان العلماء المسلمين كثير جدا والكد يعرف أن جميع العلوم الإسلامية التي تلجأ إلى الاستدلال فأساس هذا الأخير هو القياس وذلك كالفقه والنحو⁽²⁾ يقول سيبويه: " والقياس في فعل ما ذكرنا يفسر على أفعل أما ما سوى ذلك فلا يعلم إلا بالسمع ثم تطلب النظائر كما تطلب الأفعال هاهنا فنجد نظير الأزد.

قال الشاعر الأعشى:

إِذَا رَوَّحَ الرَّاعِي اللَّقَاحَ مَعْرَبًا وَأَمَسَّتْ عَلَى آثَافِهَا عِبْرَاتَهَا⁽³⁾

فنستنتج من خلال قول الأعشى أن القياس له علاقة بمفهوم النظائر التي هي مجموعة من الأفراد التي تنتمي إلى الباب. فهي نظائر بعضها بعض ، معناه أن كل واحد منها هو المقابل والمساوي له في الصبغة.

والقياس كمصدر من الفعل (قاس) هو تلك العملية المنطقية الرياضية التي سمينها تفرعا من الأصل. والقياس كاسم فهو هذا التوافق في البناء نفسه ومن حيث المنطق الرياضي هو تكافؤ العناصر في البنية (لا في شيء آخر) بإصطلاح هذا العلم وهو نتيجة لعملية تطبيق مجموعة على مجموعة بشرط أن يكون التطبيق من نوع التقابل التنظيري لا غير ذلك، أما مفهومه في اللغة غير لغة النحو فقد تأثر بعلم الكلام ثم الفلسفة، وصار الجامع فيه العلة ومفهوم العلة موجود في النحو العربي الأصيل، لكن كعامل اضطراب وبالتالي كمبرر خارجي (خارج البنية اللغوية) للعناصر الشاذة.

أهمية القياس:القياس عملية عقلية فطرية أثبتت البحث الحديث في ميدان اللغويات أن اكتساب اللغة يقوم على أساسها. والقياس عملية إبداعية يمد اللغة صيغا وتراكيب لم تكن موجودة قبله وهو ما يجعلها (أي: اللغة) حيا تواكب التطور⁽⁴⁾.

وهناك مفاهيم أخرى ذكرها الدكتور الحاج صالح نرى أنه من النقص عدم ذكرها ومن حق القارئ العربي أن يكون على دراية بها، والتي نجد من بينها: مفهوم المثال وعقب ذلك مفهوم الحركة والسكون والتمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب والنظرة إليه كبنية، ومفهوم الموضوع والعلامة العدمية.

وخلاصة القول أن المدرسة الخليلية الحديثة تمت وترعرعت في التراث العربي الأصيل ، وذلك برعاية (العلامة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح العلم اللساني المشهور في الجزائر والعلم العربي ككل) الذي أثبت أنه في تراثنا مفاهيم لسانية رائدة تفوق ما عند غيرنا في كثير من الأحيان. فقد قامت على الاستدلال العقلي القوي، وبنيت على المنطق الرياضي. وأثبتت المفاهيم والمبادئ الأساسية التي قامت عليها المدرسة الخليلية كما أوردنا صاحبها في مقالاته ومحاضراته ، وكما أخذتها من الكتب والمقالات نقلا عنه، فإن أحسنت فهذا بفضل من الله وحسن توصيك الأستاذ لهذه المفاهيم وإن أخطأت فيعود هذا علي لأني أسأت النقل والتلخيص.

(1) - أبو الفتح عثمان (ابن جني): الخطائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، ج 1 - ج 2، 1954، ص: 163.

(2) - التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص: 115.

(3) - عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب "بسيبويه" : الكتاب ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه د إميك بديع يعقوب ، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص: 176.

(4) - التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، ص: 116 - 117.

قائمة المصادر والمراجع :

- (1) - عبد الرحمن الحاج صالح: " المدرسة الخيلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي".
- (2) - عبد الرحمن الحاج صالح: " النظرية الخيلية الحديثة" - مفاهيمها الأساسية- العدد الرابع / السنة 2007 الجزائر.
- (3)- عبد الرحمن الحاج صالح: دور النظرية الخيلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية .
- (4) - الثواتي بن الثواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ، دار الوعي للنشر والتوزيع.
- (5) - صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر- 2003 .
- (6) - عبد الرحمن الحاج صالح: اللسانيات: مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياته ، ردم ، العدد العاشر ، 2005 .
- (9) - السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ..
- (10) - سيبويه: الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، بيروت ، دار الجيد 1991 ، ج1 .
- (11) - عبد الرحمن الحاج صالح: منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات ، مقال.
- (12) - أبو البقاء الكبري: مسائل في النحو ، ج1 .
- (13)- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" ، الجزء الثاني ، دار موفم للنشرالجزائر 2007 .
- (14) - كريمة أوشيش: أثر الثنائية اللغوية (العامية - الفصحى) في استعمال التراكيب ، مقال منشور في مجلة اللسانيات في علوم اللسان وتكنولوجياته ، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية ، العدد 8 .
- (15) - أبو الفتح عثمان (ابن جني): الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، المكتبة العلمية ج 1 - ج2 .